Doi: https://doi.org/10.61856/bxbk8t95

Scientific Events Gate

Innovations Journal of Humanities and Social Studies

IJHSS

https://eventsgate.org/ijhss

e-ISSN: 2976-3312

Rhetorical Touches and Qur'anic Reflections on Surah Al-Qadr

Dr. Adeeb Jamil Mohammad Al-Dalabeeh
Assistant Professor of Tafsir and Quranic Sciences
Researcher in Islamic Studies, Ministry of Awqaf, Islamic Affairs and Holy Places, Hashemite Kingdom of Jordan
Email: Dradeeb_dalabeeh@yahoo.com

Received 13/04/2026 – Accepted 28/06/2026 – Available online 15/07/2026

Abstract: This study investigates the rhetorical features and miraculous structure of Surah Al-Qadr by examining the cohesion of its rhetorical patterns and the role of stylistic devices in highlighting the grandeur of the Holy Qur'an and the significance of the night on which it was revealed. It focuses on devices such as ellipsis, explicit expression, emphasis, anticipation, restriction, hyperbole, and the repetition of the phrase "Laylat al-Qadr." Using an analytical-rhetorical methodology based on close examination of the Qur'anic text, the views of major exegetes, and the tools of semantics and rhetoric, the study links the Qur'anic pauses and stylistic features to the overall rhetorical structure of the surah. The findings show that Surah Al-Qadr forms a cohesive rhetorical unit in which emphasis, anticipation, and restriction reinforce its doctrinal and semantic meanings. The ellipsis in the expression "We have revealed it" magnifies the status of the Holy Qur'an, while the threefold repetition of "Laylat al-Qadr" emphasizes the honor and exceptional status of the night. The study recommends further rhetorical analysis of short surahs to reveal their miraculous structure and respond to contemporary stylistic objections to the Qur'anic text.

Keywords: **Surah al-Qadr, Rhetorical structure, Rhetorical Touches, Qur'anic reflections.**

لمسات بيانيّة وتأمّلات قرآنيّة في سورة القدر

أديب جميل محمد الدلابيح
أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن- باحث في الدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف الأردنية الأردن.
Dradeeb_dalabeeh@yahoo.com

الملخص: تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن السمات البلاغية والبنية المعجزة في سورة القدر، من خلال رصد تماسك أنماطها البيانية وبيان دور الأساليب البلاغية في إبراز عظمة القرآن الكريم وأهمية الليلة التي أُنزل فيها. وتركز الدراسة على عدد من الأدوات البلاغية، منها الإضمار، والإظهار، والتوكيد، والتشويق، والقصر، والإطناب،

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

وتكرار عبارة «ليلة القدر». وقد اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي البياني القائم على التأمل الدقيق في النص القرآني، والاستفادة من أقوال كبار المفسرين، وتوظيف أدوات علم المعاني والبيان، مع ربط الفواصل القرآنية والخصائص الأسلوبية بالبنية البلاغية الكلية للسورة. وأظهرت النتائج أن سورة القدر تمثل وحدة بيانية متماسكة تتكامل فيها أدوات التوكيد والتشويق والقصر لتثبيت المعاني العقدية والدلالية، كما أن الإضمار في قوله تعالى: «إنا أنزلناه» يسهم في تعظيم شأن القرآن الكريم وإبراز منزلته، في حين يؤكد تكرار عبارة «ليلة القدر» ثلاث مرات شرف هذه الليلة ومكانتها الاستثنائية. وتوصي الدراسة بمزيد من التحليل البلاغي لقصار السور للكشف عن بنيتها المعجزة والإفادة من المنظور البياني في الرد على الاعتراضات الأسلوبية المعاصرة الموجهة إلى النص القرآني.

الكلمات المفتاحيّة: سورة القدر؛ النّظم البياني؛ لمسات بيانيّة؛ تأمّلات قرآنيّة.

المقدّمة:

إنّ أعظم وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ما كان أصلاً للتّحدّي لأهل الفصاحة والبيان بالنّظم المعجز للألفاظ والمعاني داخل الآيات والسّور، والتّرابط العظيم وما يؤدّيه من المعاني الثّانويّة والنّكات البلاغيّة والبيانيّة في آيات القرآن الكريم، وهو ما عجز الإنس والجنّ عن الإتيان بمثله وقصرت عن مشاكلته كلّ غاية من البيان والفصاحة البشريّة.

وتُعدّ السّور القصار نموذجا فذّا للبناء التّكاملي في البلاغة والبيان والتّناغم بين الألفاظ والمعاني في الآيات القرآنيّة، حيث يؤدّي هذا التّرابط بين الآيات والفواصل القرآنيّة، وبنيتها ودلالتها والتّعلّقات الإعرابيّة، والنّكات البيانيّة فيها دوراً جوهريّا في إبراز المعنى وتأكيده، وتوجيه الدّلالات البيانيّة واللّمسات الجماليّة والمعاني الثّانويّة فيها. وتأتي سورة القدر في هذا السّياق مثالاً للوحدة الموضوعيّة التّطبيقيّة للمعاني الوفيرة في الآيات القصيرة؛ إذ تتضافر فيها أدوات الإظهار والإضمار، والتّقديم والتّأخير، والإيجاز والإطناب وغيرها.. لخدمة محور السّورة العظيم وهو "تعظيم شأن ليلة النّزول وتفخيم مكانتها وما أنزل فيها"، بأسلوب بياني متكامل يقف على جماليات الألفاظ والمعاني.

وتسعى هذه الدّراسة إلى تحليل الآيات في السّورة تحليلاً بيانيّاً شاملاً من خلال الوقوف على اللّمسات الجماليّة البيانيّة فيها، وتوظيفها توظيفاً متكاملاً لبيان الوحدة الواحدة للسّورة، من خلال قراءة تطبيقيّة تربط بين أدوات البلاغة والبيان وقواعد اللّغة، وتوجيه أقوال المفسّرين والنّكات البلاغيّة الدّقيقة؛ للكشف عن أسرار النّظم البياني المعجز في آياتها الخمس، والرّدّ على المنكرين.

مشكلة الدّراسة وأسئلتها:

تكمن مشكلة الدّراسة في الحاجة إلى رصد التّلاحم والتّرابط في بناء النّظم المعجز للسّورة، وأثره في تشكيل صورة متكاملة عن محور السّورة الرّئيس المتمثّل في إبراز عظمة القرآن الكريم، وعظمة الوعاء الزّماني والمكاني الّذي أنزل فيه في ظلّ تكرار بعض الألفاظ في السّورة كـ "ليلة القدر"، وتنوّع أدوات البلاغة والبيان، مع توجيه أقوال أهل التّفسير بميزان بلاغي رصين.

وتتحدّد المشكلة في الإجابة عن الأسئلة الرّئيسة التّالية:

-ما هي الأسرار البلاغيّة والنّكت الكامنة في التّعبير بالإضمار والإظهار في مطلع السّورة والإنزال دون التّنزيل؟

-كيف تضافرت البنى الاسميّة والفعليّة وتكرار الأساليب البيانيّة في ترسيخ فضل ليلة القدر والرّدّ على المشركين؟

-ما هي أبرز ملامح التّرابط والتّلاحم البنيوي في آيات السّورة، وكيف تمّ توظيف ذلك في بيان مقصد السّورة؟

أهداف الدّراسة: تسعى الدّراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- إبراز التّلاحم النّظمي في سورة القدر عبر سبر أدوات علم المعاني وتوظيفها في إثبات مصدريّة الوحي.
- الكشف عن النّكات والمقاصد البيانيّة في السّورة وتوظيفها في بيان عظمة القرآن واللّيلة التي أنزل فيها والتّنزّل المهيب للملائكة فيها؟
- استنباط التأمّلات واللّمسات البيانيّة الّتي تظهر تفوّق النّصّ القرآني وتفرّده وإعجازه وبيانه.

أهمّية الدّراسة:

تكمن أهمّية الدّراسة في تقديم قراءة بيانيّة تطبيقيّة من خلال سبر أدوات البلاغة والبيان في السّورة، وكشف أثرها في توثيق روابط التّلاحم البنيوي بين الآيات، بحيث تقف بالقارئ على مواطن جمال النّظم القرآني، وتوظيف هذه الأدوات بالكشف عن المحور العام للسّورة المتمثّل في التّأكيد على عظمة القرآن، وعظمة اللّيلة الّتي أنزل فيها وهي "ليلة القدر"، والوقوف على الفواصل القرآنيّة وتحليلها تحليلاً بيانيّاً يظهر علاقتها بسياق الآيات الكريمة ولحاقها، مع ربط ذلك في دفع مزاعم المنكرين، وإثبات مصدريّة الوحي الإلهي.

الدّراسات السّابقة:

حظيت سورة القدر كغيرها من سور القرآن العظيم بعناية كبيرة من طرف الباحثين الّذين تطرّقوا لدراسة جماليات الألفاظ والمعاني في آياتها العظيمة من عدّة جوانب، وشكّلت هذه الجهود البحثيّة السّابقة أرضية علميّة صلبة، حيث نجحت كلّ دراسة في الكشف عن ملمح من ملامح الإعجاز والنّظم في السّورة من زوايا منهجيّة متنوّعة، فمنها ما اتّجه نحو المنهج الوصفي التّحليلي العام، كدراسة (H. Aliyah, 2003)، وأفرد بعضها الحديث فيها عن الظّاهرة الصّوتيّة، كدراسة (Fatima Haider Ali, 2011). بينما ركّزت بعضها على رصد أدوات بلاغيّة مخصوصة؛

كدراسة (Mona Al-Shami, 2020)من منظور تصعيد الخطاب، ودراسة (Warda Abdel Samie, 2022) الّتي تتناول أسلوب "التّرقي" في المعنى. في حين اتّسمت أطروحات الأستاذ الدّكتور فاضل السّامرائي (2008) في التّفريغات الصّوتيّة له الموسومة: "لمسات بيانيّة" بالتقاط ملامح جمالية متفرّقة للّفظ القرآني في السّورة.

وتجمع الدّراسة الحالية بين جماليات البلاغة والبيان في السّورة الكريمة والعلاقات بين هذه الأساليب وتوظيفها في تشكيل الصّورة البيانيّة الكلّية للآيات، وربط ذلك في الرّدّ على المنكرين وإثبات مصدريّة الوحي الإلهي، ودحض مزاعم منكري الرّسالة المحمديّة.

خطّة البحث:

اشتملت هذه الدّراسة على مقدّمة، ومبحثين، وخاتمة.

المبحث الأوّل: مقدّمات عامّة في سورة القدر، ويشتمل على:

أولاً: تسمية السّورة والآراء الواردة في مكّيتها ومدنيتها؛

ثانياً: ترتيب السّورة وعدد آياتها؛

ثالثاً: سبب نزول السّورة؛

رابعاً: موضوع السّورة العام.

المبحث الثّاني: اللّمسات البيانيّة والبلاغيّة في آيات سورة القدر، ويشتمل على تحليل كلّ آية من آيات السّورة الخمس:

أوّلاً: تحليل قوله تعالى:**(**إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١**)** [القدر: 1]
ثانياً: تحليل قوله تعالى:**(وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢)** [القدر: 2]
ثالثاً: تحليل قوله تعالى:**(لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣)** [القدر: 3]
رابعاً: تحليل قوله تعالى:**(تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤)** [القدر: 4]
خامساً: تحليل قوله تعالى:**(سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥)** [القدر: 5]

فهذا جهد المقل، فما كان فيه من توفيق فمن الله وما كان فيه من سهو أو خطأ أو نسيان فمنّي ومن الشّيطان، وأسأل الله الإخلاص والقبول.

المبحث الأوّل: مقدّمات عامّة عن سورة القدر

أوّلاً: تسمية السّورة والآراء في مكيتها ومدنيتها

ثبت تسمية هذه السّورة في المصاحف والمصادر التّفسيريّة وكتب السّنّة النّبويّة المطهّرة بسورة (القدر)، ووجه التّسمية لها بسورة القدر؛ لتكرار اللّفظ الشّريف فيها ثلاثاً، ولإبانة عظم قدرها ومنزلتها وشرفها الزّماني والمكاني 3 . وهي تسمية توقيفيّة ثبتت بأمر النّبي صلّى الله عليه وسلّم؛ قال السّيوطي: "أسماء السّور ثبتت بالتّوقيف من الأحاديث والآثار" (Al-Suyüţi, 1974).
وقد سميت هذه السورة بأسماء اجتهادية تدور حول تسميتها بأول آية فيها، ومن ذلك ما عَنّون لها الإمام البخاري في صحيحه في " كتاب التفسير"، باب تفسير سورة "إنّا أنزلناه" (Al-Bukhāri, 1993) كما سماها ابن عطية في "تفسيره بـ (سورة ليلة القدر)، وعنّون لها الجصاص في أحكام القرآن باسم "سورة ليلة القدر (Al-Jassas, 1405 H)، وهذه كلها أسماء اجتهادية لم تثبت بالتوقيف عن النبي صلى الله عليه وسلم.
وقد اختلفت أقوال أئمة التفسير في نزول السورة على قولين: فذهب فريق من المفسرين منهم- ابن عباس، والماوردي، وابن عطية- إلى أنها سورة مكية، مستدلين على ذلك بطبيعة السرد الإعجازي البنائي الغالب على النزول المكي (Al-Mawardi, D.T).

بينما ذهب فريق آخر من المفسرين، وهو «قول ابن عباس ومجاهد وعطاء وقال قتادة هي مدنية وكذا حكى كريب أنه وجدها في كتاب ابن عباس ونظيرتها في المدنيين»(Al-Dani, 1994). وقال الثعلبي: «مدنية عند أكثر المفسرين» (Al-Tha'labi, 2002). وذكر الواحدي «أنها أول سورة نزلت بالمدينة» (Al-Wähidi, D.T 304).

ويمكن القول: إن سورة القدر مكية، ولا يمنع من كونها تحدثت عن عظيم فضل ليلة القدر، أن تكون نزلت قبل فرض الصيام؛ لأنها بدأت بالحديث عن النبأ الذي اختلفت فيه كلمة العرب وهو نزول القرآن الكريم، وعن عظيم شأن هذا النزول، وما لحقه من عظمة الوقت الذي نزل به، وعظمة من نزل به، ولأنها يغلب عليها طابع الرد الإعجازي القصير، فليس كل آية في كتاب الله لها سبب معين للنزول، أما الترغيب في فضل قيامها وجعل ذلك سبباً في كونها مدنية فقد ورد عن النبي أحاديث كثيرة في الترغيب في فضلها.

ثانياً: ترتيبها وعدد آياتها:

سورة القدر من سور قصار المفصل وهي السورة السابعة والتسعون في ترتيب المصحف، وجاءت آياتها خمس آيات في العدّ الكوفي والمدني والبصري، بينما عُدت ست آيات في العدّ المكي والشامي (Al-Dani, 1994)؛ لاختلاف العادّين في مواضع الوقف والفواصل. ففي العدّ الشامي والمكي (ليلة القدر) الحرف الثالث آية (Ibn al-Jawzi,1987).وعدد كلماتها ثلاثون كلمة.

ثالثاً: سبب نزول السورة:

جاء في سبب نزول سورة القدر ما أخرجه ابن أبي حاتم والواحدي عن مجاهد: «أن رسول الله ρ ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله (إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ) [القدر: 1-3] التي لبس ذلك الرجل السلاح فيها في سبيل الله»(Al-Bayhaqi, 2011).

والرواية وإن كانت مرسلة كما قال البيهقي، لكن عند ربطها بالسياق العام للآيات يمكن الوقوف على ملمح عظيم فيها؛ إذ يفهم من سياق قوله تعالى "ألف شهر"؛ تعجب المسلمون من قصة رجل من بني إسرائيل حمل السلاح مجاهداً في سبيل الله دهراً طويلاً، فجاءت هذه السورة تفضيلاً لعمل هذه الأمة على غيرها من الأمم، وشحذاً للهمم في التزود بالعمل الصالح في ليلة القدر على وجه الخصوص.

رابعاً: موضوع السورة

تتمحور السّورة كليّاً حول الحديث عن عظمة القرآن الكريم عبر إسناد إنزاله إلى الله سبحانه وتعالى، ورفع مكانة ومنزلة الوعاء الزّماني لهذا النّزول العظيم (ليلة القدر) من بيت العزّة إلى السّماء الدّنيا، مع بيان المشهد العظيم للتّنزّل المهيب للملائكة الكرام والرّوح الأمين لإرساء السّلام والطّمأنينة في تلك اللّيلة المباركة. كما تناولت السّورة دفع شبهة المشركين الجاحدين الّذين ينكرون مصدريّة الوحي الإلهي ولا يقرّون أنّ القرآن الكريم منزل من عند الله Y.

وتتضافر البنى الأسلوبيّة في النّصّ القرآني لتوجيه النّظر نحو المقاصد الكبرى للسّورة، والّتي تتركز بوضوح في إبراز شرف ليلة القدر بنصّ القطع واليقين، وتصوير حركة النّزول الغيبي للملائكة المقرّبين، وامتداد اتّصال سلامهم وفيوضات أمانهم طوال اللّيل على أهل الإيمان (Al-Fayruzabadi, 1996).

المبحث الثّاني: اللّمسات البيانيّة والبلاغيّة في آيات سورة القدر

أوّلاً: تحليل قوله تعالى: (إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١) [القدر: 1]

افتتحت السّورة الكريمة بأعلى درجات التّوكيد الأسلوبي عبر الحرف المشبّه بالفعل" (إنّ) المقترن بنون العظمة، وجاء الخبر في الآية بالجملة الفعلية (أَنزَلۡنَٰه)؛ لتقوية الحكم وتمكينه في ذهن السّامع والزّيادة في التّوكيد (Ibn Äshür, 2000)، فالآية الكريمة تتناول الحديث عن شيء عظيم ليس له مثيل، وعن مناسبة مباركة تمثّلت في نزول وحي السّماء، بكتاب مبارك ليدّبروا آياته، وبحديث معجز لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وإن كان بعضهم لبعض ناصرا وظهيرا. ليكون ذلك النّزول في وقت قد بدأ نوره يمتدّ مع سكون اللّيل المظلم، الّذي سكنت فيه نفوس الخلائق وخشعت، رغبا، وخوفا، وطمعا، بما عند المولى عزّ وجلّ من الرّحمة والمغفرة، لتغيب شمس ذلك الوقت المبارك مع خروج أول نفس من أنفاس الصباح، معلنا بداية نزول النور المبين الّذي أخرج الله عزّ وجلّ به النّاس من الظّلمات الّتي بعضها فوق بعض إلى النّور الّذي يهدي إليه من يشاء من عباده، كلّ هذه العظمة اجتمعت سويّة في نظم لن تجد له مثيل إلاّ في كتاب الله جلّ وعلا.

ويقف القارئ المتدّبر لهذه الآيات خاشعاً عند هذا النّظم، لسان حاله: ما أعظم هذا الّذي نزل! وما أعظم هذا النّزول بما فيه! وما أعظم هذه اللّيلة الّتي أنزل فيها! ولعلّه يتساءل: من أين جاءت هذه العظمة؟ والقرآن يجيب.

فافتتاح السّورة بـ (إنّ) التّوكيديّة واسمها الضّمير (نا) المسند إليه، ومجيء خبرها جملة فعليّة مسندا إلى ضمير العظمة (نا)- والّذي يزيد هذا الّذي أنزل عظمة وشرفا لعظم من أسنده إليه - المقدّر إعرابيّاً في محلّ رفع فاعل الفعل، والمسند إليه بيانيّا، والّذي تكرّر في هذه الآية مرّتين، ليفيد كما يقول أهل البلاغة: الاختصاص وتقوية الحكم (Al-Sakkäki, 1987). وأيّ اختصاص أعظم من نسبة القرآن إلى المولى عزّ وجلّ وإسناده إليه. وفي ذلك توظيف بديع لأساليب

البيان في الرّدّ على أولئك الّذين ينكرون مصدريّة الوحي الإلهي ويلحدون في آيات الله تعالى في كلّ زمان ومكان بالتّأكيد على أنّ القرآن الكريم منزّل من عند الله تعالى.

ثم تتجلّى براعة هذا النّظم، ليضمر لنا المولى عزّ وجلّ ذكر كتابه العظيم بالضّمير الدّال عليه (الهاء)، لما له من شرف، ومكانة وحضور في الأذهان، يقول أبو السّعود: «وفيه تنويه بشأن القرآن الكريم، وإجلال لمحله بإضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التّصريح به كأنّه حاضر في جميع الأذهان (Abu al-Su'üd, 1419 H). فمتى كان القرآن حاضراً في الأذهان والقلوب تقدّمت الأمّة وسادت ونجت.

وتتجلّى براعة البيضاوي في التّأكيد على ذلك، فيقول: «فخمه بإضماره من غير ذكر شهادة له بالنّباهة المغنية عن التّصريح كما عظّمه بأن أسند نزله إليه» (Al-Baydāwi, D.T). أي بالتّعبير عنه بضمير الغائب الّذي لم يذكر قبله في السّورة ما يعود عليه. والضّمائر المذكورة هنا كلّها للقرآن غير الضّمير في قوله إليه، بقوله: فإنّه لله، والتّفخيم بمعنى "التّعظيم" وأفاد ما ذكر تعظيمه؛ لأنّه يشعر بأنّه لعلوّ شأنه كأنّه حاضر عند كلّ أحد فيعود الضّمير على ما هو في قوّة المذكور، والنّباهة، والشّهرة، والشّرف. وجاء الإضمار-المسند إليه- على خلاف مقتضى الظّاهر، وذلك مشروط عند أهل البلاغة بشرط، وهو أن تكون هناك نكتة تدعو إلى تنزيله منزلة الحاضر في الذّهن (Al-Sakkaki, 1987)، وتلك النّكتة هي تفخيم شأن المضمر كما في قول الله Y (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ) [البقرة: 97]. وإثبات مصدريته لله سبحانه وتعالى والرّدّ على المنكرين.
ويقول الكفوي في قوله تعالى: (أَنزَلْنَٰهُ) «فقد فخّم القرآن بالإضمار من غير ذكر له شهادة له بالنّباهة المغنية عن التّصريح» (Al-Kafawi, 1998). وتظهر براعة صاحب الفنقلات، في التّأكيد والاستدلال على عظمة القرآن الكريم من هذا النّظم المتّسق فيقول: «جاءت العظمة في هذا النّظم من ثلاثة أوجه: أحدها: (أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصّا به دون غيره، والثّاني أنّه جاء بضميره دون اسمه الظّاهر شهادة له بالنّباهة والاستغناء عن التّنبيه عليه والثّالث: الرّفع من مقدار الوقت الّذي أنزل فيه» (Al-Zamakhshari, 1407 H).

بعد هذه العظمة الّتي تلتفت إليها القلوب، قبل الأبصار في هذا النّظم الّذي لا تنقضي عجائبه، في بيان منزلة وشرف القرآن الّذي أنزل، بعبارات قليلة ذات معانٍ لا تنضب ولا تنفذ، يتجلّى للقارئ ما يؤكّده أسلوب القصر-قصر قلب- في تقديم قوله تعالى: (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ)، من توجيه الكلام لمن يُرادُ إعلامه بخطأ تصوُّره نسْبَةَ المقصور إلى غَيْر المقصور عليه". (Al-Maydāni, 1996)؛ وفي ذلك ردّ على المشركين الذين نفوا أن يكون القرآن منزلا من الله تعالى، وهو ملمح من أغراض توظيف البلاغة في دفع الشّبهات عن القرآن الكريم والرّدّ على المنكرين.

والإنزال غير التّنزيل، كما هو ظاهر في لغة القرآن، ونصّ عليه كثير من أهل العلم في التّفسير والبلاغة. فعند الحديث عن نزول القرآن دفعة واحدة كان الاستخدام لكلمة: أنزل، نحو (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ) [القدر: 1] (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ) [الدخان: 3] . فالقرآن الكريم نزل إلى السّماء الدّنيا دفعة واحدة، في ليلة القدر. قال الرّاغب:
"وإنّما خصّ لفظ الإنزال دون التّنزيل، لما روي: (أنّ القرآن نزل دفعة واحدة إلى السّماء الدّنيا، ثمّ نزل نجما فنجما). وإن أريد به نزوله على دفعات جيء بلفظ: نزّل وهي كثيره في القرآن، نحو قوله تعالى: (نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ) [آل عمران 3:] وقوله تعالى: (وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا) [الإسراء 106:]، فالقرآن الكريم نزل دفعة واحدة في ليلة القدر إلى السّماء الدّنيا، ثمّ نزل مفرّقاً على النّبي صلّى الله عليه وسلّم لهداية البشريّة ولإخراجهم من الظّلمات إلى النّور.

والقدر هو القضاء والحكم والشّرف كما في المعنى اللّغويّ لهذه الكلمة، وهو ما يقدّره الله عزّ وجلّ من القضاء ويحكم به من الأمور قال الله عزّ وجلّ إنّا أنزلناه في ليلة القدر أي الحكم"(Ibn Manzür, D.T.). كما قال تعالى:(فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤) [الدّخان: 4].
وقد جاء في سبب تسمية ليلة القدر عدّة أقوال، يقول الزّمخشري مفسّرا معنى ليلة القدر:" ليلة تقدير الأمور وقضائها، من قوله تعالى:(يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤) [الدخان: 4] وقيل: سُمّيت بذلك لشرفها على سائر اللّيالي"(Al-Zamakhshari, 1407 H). وذكر البقاعي "أنّها اللّيلة الّتي لها قدر عظيم وشرف كبير، والأعمال فيها ذات قدر وشرف، فكانت بذلك كأنّها مختصّة بالقدر"(Al-Biqāʿī, D.T.)، فهي ليلة تقدير الأمور والأحكام، يقدّر الله فيها أمر السّنّة في عباده وبلاده إلى السّنة المقبلة، كقوله تعالى:(فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤) [الدّخان: 4]، وهو مصدر قولهم: قدر الله الشّيء بالتّخفيف، قدرا وقدرا، كالنّهر، والنّهر والشّعر، وقدره -بالتّشديد -تقديرا، وقدر بالتّخفيف قدرا بمعنى واحد، قيل للحسين بن الفضل: أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السّموات والأرض؟ قال: بلى، قيل: فما معنى ليلة القدر؟ قال: سوق المقادير إلى المواقيت، وتنفيذ القضاء المقدّر. وقال الأزهري: "ليلة القدر": أي ليلة العظمة والشّرف من قول النّاس: لفلان عند الأمير قدر، أي جاه ومنزلة، ويقال: قدرت، فلانا أي عظمته. قال الله تعالى: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ) [الأنعام: 91] أي ما عظّموه حقّ تعظيمه" (Al-Baghawī, 1997).

يقول ابن عاشور: معنى القدر: هو الّذي عرفت اللّيلة بالإضافة إليه هو بمعنى الشّرف والفضل كما قال تعالى في: (إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ) [الدّخان: 3]، أي ليلة القدر والشّرف عند الله تعالى ممّا أعطاها من البركة فتلك ليلة جعل الله لها شرفا فجعلها مظهراً لما سبق به علمه فجعلها مبدأ الوحي إلى النّبي "(Ibn ʿĀshūr, 2000)ρ

أخيراً يمكن القول: إنّ جميع الأقوال تلتقي في التّأكيد على أنّ ليلة القدر ليلة عظيمة ذات شرف وفضل ومنزلة عند الله سبحانه وتعالى، وفيها أيضا تقدّر المقادير ويُفرق كلّ أمر حكيم.

وتكتمل بلاغة هذا النّظم بمجيئ المسند (ٱلۡقَدۡرِ) معرّفاً بلام الجنس، يقول ابن عاشور: والتّعريف في (ٱلۡقَدۡرِ) "تعريف الجنس"، ولم يقل: في ليلة قدرٍ بالتّنكير؛ لأنّه قصد جعل هذا المركب بمنزلة العلم لتلك اللّيلة كالعلم بالغلبة؛ لأنّ تعريف المضاف إليه باللام مع تعريف المضاف بالإضافة أوغل في جعل ذلك المرّكب لقباً لاجتماع تعريفين فيه"؛ ليؤدّي هذا الأسلوب البياني دوراً في توظيف البلاغة في بيان عظمة (ٱلۡقَدۡرِ)؛ بما أفاده قصر الجنس على المسند إليه" (Ibn ʿĀshūr, 2000) . وبلوغ الغاية القصوى في جنس الخيريّة على هذه اللّيلة؛ لنزول القرآن الكريم فيها. فكأنّ القصر يجيب من يتساءل عن سبب قصر جنس الخيريّة على هذه اللّيلة بقوله: لا تتعجّب من أنّ هذه اللّيلة هي الخير كلّه، فالّذي نزل فيها هو النّور والهدى والرّحمة كلّها.

ثانياً: تحليل قوله تعالى: (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢) [القدر: 2]
يستأنف هذا النّظم العجيب في رونقه الخاصّ وطابعه المميّز المتناسق، مستعينا بأداة الاستئناف (الواو)، حديثه عن هذه اللّيلة العظيمة المباركة، الّتي كان لها الشّرف العظيم، والمنزلة الرّفيعة عند الله عزّ وجلّ من عدّة وجوه، ذكرها لنا المولى عزّ وجلّ في هذه السّورة، بكلام تكسوه الحلاوة، وتعلوه الطّلاوة، قد أثمر أعلاه، وأغدق أسفله وعلا فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. تنزيل من حكيم حميد، فابتدأت هذه الآية باسم الاستفهام (ما) الحامل على التّعجّب عن طريق الإبهام المراد به التّعظيم والتّفخيم لهذه الليلة المباركة، يقول الإمام الزّمخشري -رحمه الله -: "معنى التّعجّب تعظيم الأمر في قلوب السّامعين، لأنّ التّعجّب لا يكون إلاّ من شيء خارج عن نظائره وأشكاله، (Al-Zamakhsharī, 1407 H): أي ما أعلمك يا محمّد صلّى الله عليه وسلّم عن هذه اللّيلة وعظيم فضلها لولا أنّ أعلمك الله"(Al-Qurṭubī, 2003). فالله سبحانه وتعالى كرّم نبيّه واختّصّ أمّته بعظيم فضل هذه اللّية وشرفها.

قال الفرّاء: "كلّ ما في القرآن من قوله تعالى: (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ) فقد أدراه. وما كان من قوله :(وَمَا يُدۡرِيكَ) فلم يدره. وقاله سفيان -يعني الثّوري"(. (Al-Farrāʾ, D.T. وجملة ما أدراك: مركبة من "ما" الاستفهاميّة وفعل الدّراية المقترن بهمزة التّعدية، أي ما يجعلك داريا أي عالما. والغرض من الاستفهام في هذه التّراكيب التّنبيه على مغفول عنه ثمّ تقع بعده جملة نحو (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣) [القارعة: 3] ونحو قوله: (وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣) [عبس: 3] والمعنى أيّ شيء يجعلك داريا. وإنّمّا يستعمل مثله لقصد الإجمال ثم التّفصيل. قال الرّاغب: "ما ذكر ما أدراك في القرآن إلاّ وذكر بيانه بعده، وجاء التّفصيل بعده بقوله تعالى: (لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ) [القدر: 3]" (Ibn ʿĀshūr, 2000). ليقف المؤمن على كلّ ما فيها من العظمة والجلالة.

وأعيد اسم (لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ) الّذي سبق قريبا في قوله: (فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١) [القدر: 1] على خلاف مقتضى الظّاهر؛ "لأنّ مقتضى الظّاهر الإضمار، فقصد الاهتمام بتعيينها، فحصل تعظيم ليلة القدر صريحا، وحصلت كناية عن تعظيم ما أنزل فيها، وأنّ الله اختار إنزاله فيها ليتطابق الشّرفان" (Ibn ʿĀshūr, 2000). فجاءت أدوات اللّغة والبيان، من تعجّب واستفهام وخروج عن مقتضى الظّاهر؛ للتّأكيد على عظمة ليلة القدر وعظمة ما أنزل فيها من الذّكر، وما يقدّر فيها من المقادير، وفتح الباب في عدم تعيينها للنّسّاك والعُبّاد في تحرّي الدّقائق والسّاعات للتقرّب إلى الله عزّ وجلّ في تلك اللّيلة، وبذل الطّاعات والعبادات لنيل عظيم أجرها.
قال أبو السّعود: "إنّ فيه بيان إجمالي لشأنها إثر تشويقه عليه السّلام إلى درايتها فإنّ ذلك معرب عن الوعد بإدرائها، ولعلّ السّرّ في إخفائها تعريض من يريدها للثّواب الكثير بإحياء اللّيالي الكثيرة رجاء لموافقتها ". (Abū al-Suʿūd, 1419 H).
قال أحد السّلف: أعلم سبحانه وتعالى بليلة وعرفنا بقدرها؛ لنعتمدها في مظآن دعائنا وتعلّق رجائنا ونبحث في الاجتهاد في العمل لعلّنا نوافقها، وهي كالسّاعة في يوم الجمعة في إبهام أمرها مع جليل قدرها ومن قبيل الصّلاة الوسطى، ولله سبحانه في إخفاء ذلك أعظم رحمة، وكان في التّعريف بعظيم قدر هذه اللّيلة التّعريف بجلالة المنزل فيها (Al-Biqāʿī, D.T.).
ثالثاً: تحليل قوله تعالى:(لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣) [القدر: 3]
يستمرّ هذا النّظم المترابط في بيان ما أبهم في الآية السّابقة من أمر هذه اللّيلة المباركة، فبعد الاستفهام والتّعجّب الدّالّ على تعظيم ليلة القدر وتعظيم فضلها، والّذي لا يعلمه إلاّ الله Y، جاء الاستئناف بـجملة ابتدائيّة، لبيان ما أبهم وتفصيل

المجمل، يقول العلامّة ابن عاشور: "وفيه بيان أوّل لشيء من الإبهام الّذي في قوله: (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ)، فلذلك فصّلت الجملة لأنّها استئناف بياني، أو لأنّها كعطف البيان"(Ibn ʿĀshūr, 2000)

ولعلّ التّرابط الجلّي بين أجزاء هذا النّظم المعجز، في هذه السّورة، قد لامس شغاف القلوب، وسحر الألباب، وانكشفت معالمه، واتّضحت ملامحه، بما حواه النّظم المتّسق من تتابع للجمل الاستئنافيّة، "أخرجت هذه المعاني العظيمة بقالب واحد.(Daʿʿās, 1425 H))

ومن اللّمسات البيانيّة والرّسائل الإبداعيّة، ما يؤدّيه الإطناب في تكرار المواضع الثّلاث لـ (لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ)، مع تغيّر حركة إعرابها، من التّأكيد على مصدريّة الوحي الإلهي بإثبات نزول القرآن الكريم من عند الله تعالى، والتّنويه على عظمة المُنَزِل، وعظمة المُنْزَل، وعظمة الزّمان المُنَزّل فيه.

فجاءت في بداية السّورة شبه جملة مضافة (فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ) للتّأكيد على إضافة القرآن لله سبحانه، وإجلال هذا الحدث العظيم في اللّيلة المباركة، وجاءت جملة اسميّة في قوله: (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ)؛ للدّلالة أيضاً على ثبوت عظم هذه اللّيلة الممهّد للحديث الصّريح عن فضلها في الموضع الثّالث بالجملة الاسميّة الصّريحة الأخرى في قوله: (لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ)، وبهذه الجملة المترابطة والمتناسقة في نظم السّورة المعجز وما تؤديه أدوات اللّغة والبيان صورة تطبيقيّة فريدة للتّلاحم المعجز في التّأكيد على ثبوت فضل هذه اللّيلة على سائر اللّيالي والشّهور.
يقول أهل التّفسير في تأويل قوله تعالى: (لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ) قال بعض المفسّرين: "(لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ) معناه: عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر". (Al-Baghawī, 1997)
وهو ما تؤكّده السّنّة النّبويّة المطهّرة، روى البخاري بإسناده إلى أبي هريرة τ، أنّ النّبي ρ قال:(من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه).(Al-Bukhārī, 1993) . فالأجر المترتّب على العمل الصّالح في تلك اللّيلة عظيم يقدّر بعمل العامل من الطّاعات والقربات ألف شهر، إذا ما اقترن بالإخلاص النّابع من الإيمان الصّادق والصّبر على الطّاعة.

يقول صاحب البحر: "والظّاهر أنّ (أَلۡفِ شَهۡرٖ) يراد به حقيقة العدد، وهي ثمانون سنة وثلاثة أعوام، والحسن في ليلة القدر أفضل من العمل في هذه الشّهور، والمراد: (خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ) عار من ليلة القدر، وعلى هذا أكثر المفسّرين. وقال أبو العالية: (خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ): رمضان لا يكون فيها ليلة القدر. وقيل: المعنى خير من الدّهر كلّه، لأنّ العرب تذكر الألف في غاية الأشياء كلّها، قال تعالى :(يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ) [البقرة: 96]، يعني جميع الدّهر". (Abū Ḥayyān al-Andalusī, 1420 H)

وتفضيلها بالخير على ألف شهر، إنّما هو بتضعيف فضل ما يحصل فيها من الأعمال الصّالحة، واستجابة الدّعاء، ووفرة ثواب الصّدقات، والبركة للأمّة فيها، "لأنّ تفاضل الأيام لا يكون بمقادير أزمنتها ولا بما يحدث فيها من حرّ أو برد، أو مطر، ولا بطولها أو بقصرها، فإنّ تلك الأحوال غير معتدّ بها عند الله تعالى، ولكن الله يعبأ بما يحصل من الصّلاح للنّاس أفرادا وجماعات وما يعين على الحقّ والخير ونشر الدّين. وقد قال في فضل النّاس: (إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ) [الحجرات: 13] فكذلك فضل الأزمان إنّما يقاس بما يحصل فيها لأنّها ظروف للأعمال وليست لها صفات ذاتيّة يمكن أن تتفاضل بها كتفاضل النّاس.. ففضلها بما أعدّه الله لها من التّفضيل كتفضيل ثلث اللّيل الأخير للقربات وعدد الألف يظهر أنّه مستعمل في وفرة التّكثير كقوله "واحد كألف" وعليه جاء قوله تعالى: (يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ) [البقرة: 96]وإنّما جعل تمييز عدد الكثرة هنا بالشّهر للرّعي على الفاصلة الّتي هي بحرف الرّاء. وفي الموطأ قال مالك أنّه سمع من يثق به من أهل العلم يقول إنّ رسول الله ρ أري أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمّته أن لا يبلغوا من العمل مثلما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله (لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ). (Ibn ʿĀshūr, 2000).

فالمعاني الواردة في بيان حقيقة العدد في قوله تعالى: (أَلۡفِ شَهۡرٖ) تدور كلّها بين إثبات حقيقة العدد أو ما يؤدّيه ويرمز إليه من التّكثير والتّضعيف للأجر والثّواب في تلك اللّيلة، وجميعها تلتقي في تأكيد هذا المعنى وبيان فضل هذه اللّيلة على سائر اللّيالي والشّهور.
ولمّا كان الإضمار خروج عن مقتضى الظّاهر جاء الإظهار هنا على مقتضى الظّاهر (Al-Kafawī, 1998)؛ ليفيد الاهتمام، يقول العلاّمة ابن عاشور: "وإظهار لفظ (لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ) في مقام الإضمار للاهتمام، وقد تكرّر هذا اللّفظ ثلاث مرّات والمرّات الثّلاث ينتهي عندها التّكرير غالبا كقوله تعالى:(وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ) [آل عمران 78](Ibn ʿĀshūr, 2000)).

وهكذا فقد تعانقت أساليب اللّغة والبيان في هذه الآية، من إطناب وتكرار وإضمار للتّنويه على التّلاحم والتّرابط بين الألفاظ والمعاني في التّأكيد على عظمة ليلة القدر وعظمة العمل الصّالح فيها عند الله تعالى.

رابعاً: تحليل قوله تعالى: (تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ٤) [القدر: 4]
ويستأنف النّظم المتناسق رسم أوشاح التّلاحم البنيوي في السّورة الكريمة، وربط خيوط العظمة في تلك اللّيلة الّتي أنزل فيها القرآن، ليصف لنا مشهداً مهيباً عظيماً لا يكون إلاّ في تلك اللّيلة؛ إذ شرّف الله عزّ وجلّ ليلة القدر بتنزّل مهيب للملائكة الكرام والرّوح الأمين جبريل عليه السّلام، وما في ذلك التّنزّل من نزول للبركة والرّحمة والسّلام والطّمأنينة للمؤمنين بإذن الله Y. يقول أبو السّعود: (تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا) "استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدّة المتطاولة" (Abū al-Suʿūd, 1419 H).

وفي حذف التّاء من مطلع كلمة (تتنزّل) نكتة دقيقة عند أهل اللغة تؤدّي رسالة عظيمة في التّأكيد على صورة التّلاحم والتّرابط العام للآيات والمعاني في السّورة. فإذا التقت تائين في أوّل الفعل المضارع ولم يكن هناك سبيل للإدغام جاز حذف إحداها للثّقل، وهي واضحة هنا في قوله تعالى: (تَنَزَّل) بناءً على القاعدة الّتي تقول: إذا اجتمع في أوّل الفعل المضارع تاءان جاز حذف أحدهما نحو "تبيّن العبر" "وأصله تتبيّن الأولى تاء المضارع والثّانية تاء تفعّل، وعلّة الحذف أنّه لمّا ثقل عليهم اجتماع المثلين، ولم يكن سبيل إلى الإدغام لما يؤدّي إليه من اجتلاب همزة الوصل، وهي لا تكون في المضارع، عدلوا إلى التّخفيف بحذف إحدى التاءين"(Al-Murādī, 2008).

وأشار إلى خفاء ذلك التّنزّل بإسقاط تاء التّنزّل مع ما تقدّم من الإشارات، ودلّ على زيادة البركة في ذلك التّنزّل وعظيم طاعة الملائكة بقوله :(بِإِذْنِ رَبِّهِم) "أي بعلم المحسن إليهم المربّي لهم وتمكينه، وتنزّلهم إلى الأرض أو السّماء الدّنيا أو تقرّبهم من المؤمنين، متبدئ تنزّلهم، ولما عظّمها، ذكر وجه العظم ليكون إعلاماً بعد إبهام وهو أوقع في النّفس فقال مستأنفاً: (تَنَزَّل) أي (تنزّلاً متدّرجاً هو أصلٌ على غاية ما يكون من الخفّة والسّرعة بما أشار إليه حذف التّاء). (Al-Biqāʿī, D.T.)، والتّعبير بالفعل المضارع بقوله: (تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) "مؤذن بأنّ هذا التّنزّل متكرّر في المستقبل بعد نزول هذه السّورة.. ونزول الملائكة إلى الأرض لأجل البركات الّتي تحفّهم". (Ibn ʿĀshūr, 2000)

قوله: (بِإِذْنِ رَبِّهِم) "متعلّق بتنزّل أو بمحذوف هو حال من فاعله أي ملتبسين بإذن ربّهم أي بأمره" (Abū al-Suʿūd, 1419 H).
وهنا تظهر بلاغة هذا النّظم، بمتعلّق الفعل المخفّف تنزل (بِإِذْنِ رَبِّهِم) فلا يكون إلاّ ما أراد الله، ولا يتحرّك متحرّك، ولا يسكن ساكن، إلاّ بإذن الله Y (وَكَم مِن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ٢٦) النّجم [26] فالتّعلّق هنا جاء ليؤكّد هذا الأمر، وليبيّن أنّ ملائكة الرّحمن يسبّحون له باللّيل والنّهار لا يفترون، وأنّهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. فأمر تنزّل الملائكة الكرام في هذه اللّيلة سواء كان ذلك النّزول إلى السّماء الدّنيا أم إلى الأرض، متعلّق بإرادة المولى عزّ وجلّ، وإذنه لهم بما قضى وحكم في هذه اللّيلة.
يقول ابن عاشور:" وقوله: (بِإِذْنِ رَبِّهِم) متعلّق بـ (تَنَزَّل) إمّا بمعنى السّببيّة، أي يتنزّلون بسبب إذن ربّهم لهم في النّزول فالإذن بمعنى المصدر، وإمّا بمعنى المصاحبة، أي مصاحبين لما أذن به ربّهم، فالإذن بمعنى المأذون به من إطلاق المصدر على المفعول نحو (هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ)(Ibn ʿĀshūr, 20) فيجوز حمل المتعلّق على إرادة المعنيين فلا يكون نزول إلاّ بأمر الله عزّ وجلّ، وإن كان هناك نزول في هذه اللّيلة، فيكون هذا النّزول مصاحبا للخير الّذي سيعمّ في ليلة القدر. ويترجّح في هذا المقام حمل المتعلّق على السّببيّة -أي يتنزّلون بسبب إذن ربّهم؛ لأنّ صورة التّنزّل هنا تختلف عن أيّة صورة أخرى، لما نقل في الآثار الصّحيحة عن المصطفىρ عن تنزّل الملائكة المتكرّر في الصّباح والمساء.
روى البخاري بسنده عن أبي هريرة، أنّ رسول الله ρ قال:(يتعاقبون فيكم ملائكة باللّيل وملائكة بالنّهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الّذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلّون وأتيناهم وهم يصلّون) (Al-Bukhārī, 1993).
فالنّزول للملائكة متكرّر في الصّباح والمساء، ولا يختلف اثنان في أنّ هذا النّزول لا يكون إلاّ بأمر الله عزّ وجلّ، فالملائكة خلق لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون؟! لكن ما سرّ مجيء الحديث عن هذا التّنزّل في هذه اللّيلة، وما سرّ تعلّق التّنزّل بقوله تعالى: (بِإِذْنِ رَبِّهِم) وهم الّذين لا يسبقونه بالقول وله يسجدون؟
يمكن القول: إنّ تنزّل الملائكة في هذه اللّيلة هو تنزّل مخصوص، بطائفة مخصوصة من الملائكة، فالآية الكريمة تبيّن أنّ لهذه اللّيلة فضل على سائر اللّيالي، تتمثّل في:" نزول القرآن الكريم فيها إلى السّماء الدّنيا، وتنزّل الملائكة فيها. لكن من هم هؤلاء الملائكة الّذين يتنزّلون في ليلة القدر؟
يقول أهل التّفسير: هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة إلاّ تلك اللّيلة." (Abū al-Suʿūd, 1419 H)، ينزلون في هذه اللّيلة بالرّحمة من عند المولى، وبما قدّره الله عزّ وجلّ من سلام وسلامة، وخير من كلّ أمر، قضاه المولى عزّ وجلّ في هذه اللّيلة المباركة.

وفي الآية الكريمة أيضاً تصريح بنزول جبريل υ المتكرّر في ليلة القدر بغير الوحي، بما تفيده صيغة الفعل المضارع في الآية في قوله تعالى: (تَنَزَّلُ) من التّجدّد. وذكر العام بعد الخاص فيه تنويه على منزلة جبريل υ وجلالة قدره، فقد خصّ الله سبحانه وتعالى (ٱلرُّوحُ) بالذّكر وهو جبريل مع أنّه داخل في عموم الملائكة؛ تكريما له، وتعظيما لشأنه كأنّه جنس آخر. وهنا تظهر فائدة الأساليب البيانيّة في التّأكيد على عظمة اللّيلة وعلى شرف من نزل فيها بما يؤدّيه الإطناب من التّنويه بالشّرف العظيم والشّأن الخاص لنزول جبريل عليه السّلام". (ʿAtīq, 2009)، ومرافقة الملائكة الكرام له في ليلة القدر هي شرف عظيم ومنزلة رفيعة لهم، فهي من بركات ليلة القدر الّتي لا تنقطع. كما أنّ ذلك النّزول لجبريل عليه السّلام والملائكة الكرام في ليلة القدر شرف عظيم وتشريف وتعظيم من المولى عزّ وجلّ لهذه اللّيلة على سائر اللّيالي.

وتستأنف أدوات اللّغة وحروفها وأساليب البلاغة وفنونها دورها في رسم التّرابط والتّلاحم المنبئ عن العظمة الكامنة في المعاني والألفاظ للتّأكيد على عظمة تلك اللّيلة وما فيها، بما يفيده حرف الجرّ(مِن) في قوله: (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) فيجوز أن تكون بيانيّة تبيّن الإذن من قوله: (بِإِذْنِ رَبِّهِم) : أي "بإذن ربّهم الّذي هو في كلّ أمر، ويجوز أن تكون بمعنى الباء، أي تتنزّل بكلّ أمر مثل ما جاء في قوله تعالى:(يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ) [الرعد: 11] أي بأمر الله، وهذا إذا جعلت باء (بِإِذْنِ رَبِّهِم) سببيّة، ويجوز أن تكون للتّعليل، أي من أجل كلّ أمر أراد الله قضاءه بتسخيرهم، و (كُلِّ) مستعملة في معنى الكثرة للأهمّية، أي في أمور كثيرة عظيمة، وتنوين (أَمْرٍ) للتّعظيم، أي بأنواع الثّواب على الأعمال في تلك اللّيلة"(Ibn ʿĀshūr, 2000).، ويفهم من إضافة كلمة (كُلِّ) إلى النّكرة (أَمْرٍ) التّنويه للعموم القطعي الشّامل لكلّ الأمور في هذه اللّيلة من إنزال القرآن، والإذن بتنزّل الملائكة وجبريل عليه السّلام، وتقدير المقادير وكلّ أمور الخير المقدّرة في تلك اللّيلة، ما ينبئ عن وحدة موضوعيّة كاملة وتلاحم في البناء والنّظم الّذي لا يكون إلاّ من إله عظيم.

يقول ابن عاشور: "واعلم أنّ موقع قوله: (تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا) إلى قوله: (مِّن كُلِّ أَمْرٍ)، من جملة (لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ) موقع الاستئناف البياني، أو موقع بدل الاشتمال فلمراعاة هذا الموقع فصلت الجملة عن الّتي قبلها ولم تعطف عليها مع أنّهما مشتركان في كون كلّ واحدة منهما تفيد بيانا لجملة (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ) فأوثرت مراعاة موقعها الاستئنافي أو البدلي على مراعاة اشتراكهما في كونها بيانا لجملة (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ)؛ لأنّ هذا البيان لا يفوت السّامع عند إيرادها في صورة البيان أو البدل بخلاف ما لو عطفت على الّتي قبلها بالواو لفوات الإشارة إلى أن تنزل الملائكة فيها من أحوال خيريتها" (Ibn ʿĀshūr, 2000).

وفي هذا البناء المترابط والمتسلسل للأحداث، والتّلاحم البنيوي الوثيق للنّظم، وما تؤدّيه أدوات اللّغة وأساليب البلاغة والبيان، والعظمة والجلالة الّتي تدور حولها الألفاظ والمعاني إثباتٌ لمصدريّة الوحي الإلهي، وردٌّ على المنكرين.

خامساً: قوله تعالى:(سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ٥) [القدر: 5]

بعد النّظم المتّسق في تصوير صور العظمة في الآيات السّابقة، ينتقل بنا النّظم المترابط للتّأكيد على أعظم خاتمة وغاية يتحصّل عليها المؤمن في نهاية اللّيلة، وهي الخير الوفير والسّلام والطّمأنينة؛ فالسّلام في اللّغة: مصدر أو اسم مصدر معناه السّلامة قال تعالى: (قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ٦٩) [الأنبياء: 69]، ويطلق السّلام "على التّحية والمدحة، وفسّر السّلام بالخير، والمعنيان حاصلان في هذه الآية؛ فالسّلامة تشمل كلّ خير لأنّ الخير سلامة من الشّرّ والأذى، فيشمل السّلام الغفران وإجزال الثّواب، واستجابة الدّعاء بخير الدّنيا والآخرة. والسّلام بمعنى التّحية والقول الحسن يراد به ثناء الملائكة على أهل ليلة القدر"(Al-Alūsī, D.T.). كدأبهم مع أهل الجنّة فيما بيّنه قوله تعالى: (وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ) [الرّعد: 23-24] وسلام،" مستأنف خبر للمبتدأ الّذي هو هي، أي هي سلام إلى أوّل يومها، وتقديم الخبر للحصر كما في تميمي أنا والأخبار بالمصدر للمبالغة أي ما هي إلّا سالمة جدّا حتى كأنّه عين السّلامة. قال الضّحّاك في معنى ذلك إنه تعالى لا يقدّر ولا يقضي فيها إلّا السّلامة .. فهي ليلة رحمة وسلام، وخيرٍ عميم على كلّ من قامها وتحرّى أجرها، وجد واجتهد، إيماناً بالله سبحانه وتعالى وتصديقاً به، احتساباً لما يكون من المشقّة في الطّاعة الّتي جعلها الله خيراً من عبادة ألف شهر. (مِّن كُلِّ أَمْرٍ) متعلّق بقوله: (سَلَٰمٌ هِيَ)، أي "من كلّ أمر مخوّف ينبغي أن يسلم منه هي سلام، ولا يجوز أن يكون سلام بهذه اللّفظة الظّاهرة الّتي هي المصدر (عاملا فيما قبله لامتناع تقدّم معمول المصدر على المصدر). كما أنّ الصّلة كذلك لا يجوز تقديمها على الموصول". (Abū Ḥayyān al-Andalusī, 1420 H). وقوله تعالى حتى مطلع الفجر، غاية تبيّن تعميم السّلامة، والتّسليم طيلة تلك اللّيلة، فالجارّ متعلّق بـ(سَلَٰمٌ) ..(Al-Alūsī, D.T.))

والتّعبير بـ (حَتَّىٰ) دون (إلى) "ليفهم أن لما بعدها حكم ما قبلها، فيكون المطلع في حكم الليلة".
(Al-Biqāʿī, D.T.)) ، وطلوعه يعني أنّ المطلع هنا "مصدر ميمي بمعنى الطّلوع وقبله مضاف مقدّر بوقت لتتحد الغاية، والمغيا فيكونا من جنى واحد .65".

قال الضّحاك – رحمه الله -: لا يقدر الله I في تلك اللّيلة إلّا السّلامة، "فأمّا في اللّيالي الأخر فيقضي الله تعالى فيهنّ البلاء والسّلامة، قال مجاهد – رحمه الله -:"هي سالمة لا يستطيع الشّيطان أن يعمل فيها سوءا ولا أن يحدث فيها أذى"(Al-Thaʿlabī, 2002)

(سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ) وفي تقديم سلام وحتى مطلع الفجر، كلها تعظيمات لهذه الليلة وما فيها.. وهي تستحق. (Al-Sāmarrāʾī, 2023).

وبعد هذا العرض التّحليلي التّطبيقي البياني على سورة القدر، يجد القارئ الكريم نفسه أمام قطعة مترابطة من النّظم المتلاحم والمتناسق، ويرى من العظمة والجلالة الّتي أكّدتها أدوات اللّغة وأساليب البلاغة والبيان ما ينبئ عن عظمة المنزل وقدرته سبحانه وتعالى، والرّدّ على المنكرين للوحي والقرآن العظيم، ويرى القارئ للآيات من الجلالة والعظمة لـ (ليلة القدر) ما يدفع المؤمن في كلّ زمان ومكان للاجتهاد فيها وتحرّيها، وبذل الطّاعات والعبادات والقربات طمعا في أن يحظى بأجرها وفضلها.

الخاتمة والتّوصيات:

في نهاية مطاف البحث خلصنا إلى مجموعة من النّتائج والتّوصيات أبرزها:

سورة القدر من السور العظيمة المترابطة المتلاحمة في نظمها ومعانيها، المتناسقة في فواصل آياتها، المنبئة عن عظمة أكّدتها أدوات اللّغة وأساليب البلاغة والبيان، لعظمة من أنزل فيها القرآن، وعظمة شأنها ومنزلتها، بما فيها من أحداث عظيمة تناولتها الدّراسة بالبيان والتّحليل، وقد خلصت الدّراسة إلى نتائج عدّة منها:

أوّلا: سورة القدر سورة عظيمة القدر، غزيرة المعاني كغيرها من كلام ربنا المعجز، فاسمها القدر، ويعني العظمة والشّأن، ولموافقة ليلة القدر فيها، وما حوته من أمور عظيمة، على رأس هذه الأمور نزول القرآن الكريم فيها، ونزول الملائكة وجبريل عليه السّلام فيها، بالرّحمة والمغفرة.

ثانيا: سورة القدر من السّور المكّيّة وإن تضمّنت الحديث عن ليلة من ليالي رمضان الّذي فرض في السّنة الثّانية من الهجرة.

ثالثاً: من وجوه البيان والبديع الّذي تضمّنتها سورة القدر: الإطناب، بذكر ليلة القدر ثلاث مرّات. والاستفهام بغرض التّفخيم، وذكر العام بعد الخاصّ، وتوافق الفواصل القرآنيّة في نهاية الآيات.

رابعاً: نزول الملائكة في هذه اللّيلة، نزول مخصوص بليلة القدر، لتقدير الأمور من عند العلاّم الخبير.

خامساً: الملائكة الّتي تنزّل في هذه اللّيلة، هم خلق من الملائكة الّذين لا تراهم الملائكة إلاّ تلك اللّيلة المباركة.

سادساً: نزول جبريل عليه السلاّم بعد وفاة النّبي ρ بغير الوحي وارد كما نصّت عليه الآية الكريمة.

سابعاً: سورة القدر، قطعة متلاحمة من النّظم البديع، متناسقة في فواصل آياتها، لن تجد مثلها في غير كتاب الله Y.

وتوصي هذه الدّراسة بـ:

1. توظيف أساليب اللّغة والبيان في قراءة متكاملة للسّور القصيرة؛
2. كشف التّلاحم البنيوي في سور قصار المفصل؛
3. دراسة سور قصار المفصل دراسة أسلوبيّة تظهر الأسلوب الإعجازي لنسق القرآن المكّي في الإيجاز ودحض الشّبهات، والرّدّ على المنكرين.

References:

Abū Ḥayyān al-Andalusī, M. b. Y. (1420 H). Al-baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr (Ṣ. M. Jamīl, Ed.). Dār al-Fikr. https://archive.org/details/1420_20210325

Abū al-Suʿūd, M. b. M. (1419 H). Irshād al-ʿaql al-salīm ilá mazāyā al-Kitāb al-Karīm (ʿA. al-Laṭīf ʿA. al-Raḥmān, Ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Alūsī, S. al-D. M. (n.d.). Rūḥ al-maʿānī fī tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm wa-al-sabʿ al-mathānī. Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah. https://archive.org/details/1-15_20220407

Al-Baghawī, A. M. al-Ḥ. b. M. (1417 H/1997). Maʿālim al-tanzīl (M. ʿA. al-Nimr, ʿU. J. Ḍumayriyyah, & S. M. al-Ḥarsh, Eds.; Ṭ. 4). Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ. https://archive.org/details/20191231_20191231_1450

Al-Bayḍāwī, N. al-D. A. al-Kh. ʿA. b. ʿU. (n.d.). Anwār al-tanzīl wa-asrār al-taʾwīl. Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Biqāʿī, B. al-D. ʿI. b. ʿU. (n.d.). Naẓm al-durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar. Dār al-Kitāb al-Islāmī.

Al-Bukhārī, M. b. I. (1414 H/1993). Al-jāmiʿ al-ṣaḥīḥ: Ṣaḥīḥ al-Bukhārī (M. D. al-Bughā, Ed.; Ṭ. 5). Dār Ibn Kathīr.

Al-Farrāʾ, A. Z. Y. b. Z. (n.d.). Maʿānī al-Qurʾān (A. Y. Najātī, M. ʿA. al-Najjār, & ʿA. I. Shalabī, Eds.). Al-Dār al-Miṣriyyah lil-Taʾlīf wa-al-Tarjamah.

Al-Jaṣṣāṣ, A. B. A. b. ʿA. (1405 H). Aḥkām al-Qurʾān (M. al-Ṣādiq Qamḥāwī, Ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Kafawī, A. al-B. A. b. M. (1419 H/1998). Al-kulliyyāt: Muʿjam fī al-muṣṭalaḥāt wa-al-furūq al-lughawiyyah (ʿA. Darwīsh & M. al-Maṣrī, Eds.). Muʾassasat al-Risālah.

Al-Khafājī, A. b. M. (n.d.). ʿInāyat al-qāḍī wa-kifāyat al-rāḍī ʿalá tafsīr al-Bayḍāwī. Dār Ṣādir.

Al-Māwardī, A. al-Ḥ. ʿA. b. M. (n.d.). Al-nukat wa-al-ʿuyūn (A. b. ʿAbd al-Maqṣūd, Ed.). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Maydānī, ʿA. al-Raḥmān Ḥ. Ḥ. (1416 H/1996). Al-balāghah al-ʿarabiyyah: Ususuhā wa-ʿulūmuhā wa-funūnuhā. Dār al-Qalam.

Al-Murādī, A. M. B. al-D. Ḥ. b. Q. (1428 H/2008). Tawḍīḥ al-maqāṣid wa-al-masālik bi-sharḥ alfiyyat Ibn Mālik (ʿA. al-Raḥmān ʿA. Sulaymān, Ed.). Dār al-Fikr al-ʿArabī.

Al-Qurṭubī, A. ʿA. M. b. A. (1423 H/2003). Al-jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān (S. al-Bukhārī, Ed.). Dār ʿĀlam al-Kutub.

Al-Ṣābūnī, M. ʿA. (1417 H/1997). Ṣafwat al-tafāsīr. Dār al-Ṣābūnī lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

Al-Sakkākī, A. Y. Y. b. A. B. (1407 H/1987). Miftāḥ al-ʿulūm (N. Zarzūr, Ed.; Ṭ. 2). Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Sāmarrāʾī, F. Ṣ. (n.d.). Lamasāt bayāniyyah fī nuṣūṣ min al-tanzīl. Dār ʿAmmār lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

Al-Suyūṭī, ʿA. al-Raḥmān b. A. B. (1394 H/1974). Al-itqān fī ʿulūm al-Qurʾān (M. Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Ed.). Al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb.

Al-Thaʿlabī, A. I. A. b. M. (1422 H/2002). Al-kashf wa-al-bayān ʿan tafsīr al-Qurʾān (Abū M. b. ʿĀshūr, Ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Wāḥidī, A. al-Ḥ. ʿA. b. A. (n.d.). Asbāb al-nuzūl. Muʾassasat al-Ḥalabī wa-Shurakāh lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

Al-Zamakhsharī, A. al-Q. M. b. ʿU. (1407 H). Al-kashshāf ʿan ḥaqāʾiq ghawāmiḍ al-tanzīl (Ṭ. 3). Dār al-Kitāb al-ʿArabī.

ʿAtīq, ʿA. al-ʿA. (1430 H/2009). ʿIlm al-maʿānī. Dār al-Nahḍah al-ʿArabiyyah lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr.

Daʿʿās, A. Q. Ḥ. (1425 H). Iʿrāb al-Qurʾān al-Karīm. Dār al-Munīr and Dār al-Fārābī.

Ibn ʿĀshūr, M. al-Ṭ. (1420 H/2000). Al-taḥrīr wa-al-tanwīr. Muʾassasat al-Tārīkh al-ʿArabī.

Ibn ʿĀshūr, M. al-Ṭ. (n.d.). Mūjaz al-balāghah. Dār al-Rashād.

Ibn Manẓūr, M. b. M. (n.d.). Lisān al-ʿArab. Dār Ṣādir.

Muqātil b. Sulaymān, A. al-Ḥ. M. (1423 H). Tafsīr Muqātil b. Sulaymān (ʿA. M. Shiḥātah, Ed.). Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.